مكانة كازاخستان الاستراتيجية في العلاقات التركية - الروسية

م د. محمد كريم عليوي م د مروان محمد سهيل
كلية العلوم السياسية/ الجامعة المستنصرية كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية
mohammed.kareem@uomustansiriyah.edu.iq
marwan.mohammed@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص :

تحتل كازاخستان مكانة استراتيجية محورية في التوازنات الجيوسياسية بين تركيا وروسيا، نظرًا لموقعها الجغرافي في قلب آسيا الوسطى، وامتلاكها موارد طبيعية هائلة كالنفط والغاز والمعادن النادرة بالنسبة لتركيا، تمثل كازاخستان شريكًا رئيسيًا ضمن مشروع "العالم التركي" وجسراً لتعزيز حضورها في آسيا الوسطى عبر أدوات القوة الناعمة والتعاون الاقتصادي والثقافي، أما روسيا فترى في كازاخستان مجالاً حيوياً لأمنها القومي ومنطقة نفوذ تقليدية تحرص على الحفاظ عليها من خلال الروابط السياسية والاقتصادية والعسكرية، خصوصًا عبر منظمة معاهدة الأمن الجماعي والاتحاد الاقتصادي الأوراسي وهكذا، أصبحت كازاخستان ساحة للتقاطع بين الاستراتيجيتين التركية والروسية، حيث تحاول الموازنة بين القوتين بما يحفظ استقلالها ويعزز دورها الإقليمي.

الكلمات المفتاحية : كازاخستان؛ آسيا الوسطى؛ العلاقات التركية – الروسية؛ الطاقة؛ الجغرافيا السياسية.

Kazakhstan's Strategic Position in Turkish-Russian Relations

Dr. Mohammed Karim Alawi Dr. Marwan Mohammed Suhail
College of Political Science, Al-Mustansiriya University
mohammed.kareem@uomustansiriyah.edu.iq
marwan.mohammed@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract ;

Kazakhstan holds a pivotal strategic position in the geopolitical balance between Turkey and Russia due to its location at the heart of Central Asia and its vast natural resources, including oil, gas, and rare metals. For Turkey, Kazakhstan represents a key partner in the framework of the "Turkic World" project and serves as a bridge for expanding its influence in Central Asia through soft power, economic cooperation, and cultural ties. For Russia, Kazakhstan is considered a vital sphere of influence and a cornerstone of its national security, safeguarded through political, economic, and military mechanisms, particularly the Collective Security Treaty Organization (CSTO) and the Eurasian Economic Union (EAEU). Thus, Kazakhstan has become a strategic arena where Turkish and Russian interests intersect, compelling it to balance relations with both powers while preserving its sovereignty and enhancing its regional role.
Keywords : Kazakhstan; Central Asia; Turkish-Russian Relations; Energy; Geopolitics.

المقدمة

تُعَدّ كازاخستان إحدى الدول المحورية في آسيا الوسطى التي اكتسبت مكانة استراتيجية متقدمة في التوازنات الإقليمية والدولية، ولا سيما في إطار العلاقات بين تركيا وروسيا. فمنذ استقلالها عام ١٩٩١، برزت كازاخستان كلاعب أساسي بفضل موقعها الجغرافي الفريد الذي يجعلها حلقة وصل بين الشرق والغرب، إضافةً إلى ما تمتلكه من ثروات طبيعية هائلة، وفي مقدمتها النفط والغاز والمعادن النادرة. وقد شكّل هذا الموقع الجغرافي والاقتصادي عاملاً جاذباً لكلٍّ من أنقرة وموسكو، حيث تسعى تركيا إلى تعزيز حضورها في المنطقة عبر البعد الثقافي والاقتصادي ضمن إطار "العالم التركي"، بينما ترى روسيا في كازاخستان امتداداً لمجالها الحيوي الاستراتيجي الذي تحرص على حمايته ضمن مؤسساتها الإقليمية مثل الاتحاد الاقتصادي الأوراسي ومنظمة معاهدة الأمن

الجماعي. ومن هنا، فإن دراسة مكانة كازاخستان الاستراتيجية تمثل مدخلاً لفهم طبيعة التفاعلات والتوازنات بين القوتين التركية والروسية في منطقة تشكل اليوم إحدى أهم الساحات الجيوسياسية على مستوى العالم.

اشكالية البحث :تتمحور إشكالية هذا البحث حول التساؤل الرئيس: ما طبيعة الدور الاستراتيجي الذي تؤديه كازاخستان في العلاقات التركية – الروسية، وكيف أسهم موقعها الجغرافي وثرواتها الطبيعية وانتماءاتها الإقليمية في جعلها ساحةً للتقاطع والتنافس بين أنقرة وموسكو؟ وينبثق عن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية، منها:

– ما أبرز محددات الأهمية الجيوسياسية لكازاخستان في آسيا الوسطى؟

– كيف تنظر تركيا إلى كازاخستان في إطار مشروع "العالم التركي"؟

– ما هي أدوات روسيا للحفاظ على نفوذها التقليدي في كازاخستان؟

– إلى أي مدى تستطيع كازاخستان تحقيق التوازن بين النفوذين التركي والروسي بما يحفظ استقلالها ويعزز دورها الإقليمي؟

فرضية البحث :ينطلق البحث من الفرضية القائلة بأن: المكانة الجيوسياسية والاقتصادية التي تتمتع بها كازاخستان جعلتها نقطة ارتكاز في العلاقات التركية – الروسية، حيث تسعى تركيا إلى استثمارها بوصفها بوابة لتعزيز نفوذها في آسيا الوسطى، بينما تنظر إليها روسيا باعتبارها جزءاً من مجالها الحيوي التقليدي، الأمر الذي يجعل من كازاخستان ساحة للتنافس والتعاون في آن واحد بين الطرفين.

اهمية البحث : تبرز أهمية هذا البحث في كونه يتناول موضوعاً استراتيجياً يتصل بإحدى أكثر مناطق العالم حساسية، وهي آسيا الوسطى، حيث تمثل كازاخستان محوراً جيوسياسياً واقتصادياً بالغ الأهمية في التوازنات الإقليمية والدولية. وتتمثل أهمية الدراسة في عدة جوانب:

١. يسهم البحث في إثراء الأدبيات المتعلقة بالعلاقات الدولية والجغرافيا السياسية من خلال تسليط الضوء على دور كازاخستان في التفاعلات التركية – الروسية، بوصفها حالة دراسية تكشف طبيعة التنافس والتعاون بين قوتين إقليميتين مؤثرتين.
٢. تكمن في أن نتائج البحث تساعد على فهم ديناميات السياسة الإقليمية في آسيا الوسطى، بما يعزز من قدرة صناع القرار والباحثين على استشراف مستقبل العلاقات التركية – الروسية وتأثيراتها على الأمن والاستقرار الإقليمي.
٣. تنبع من كون كازاخستان تمثل جسراً بين الشرق والغرب، وفاعلاً رئيسياً في قضايا الطاقة والتكامل الإقليمي، ما يجعلها مركزاً للتوازن في العلاقات الدولية.

اهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى:

١. تحديد المكانة الجيوسياسية والاقتصادية لكازاخستان وأثرها في تعزيز أهميتها الاستراتيجية في آسيا الوسطى.
٢. تحليل الدور التركي في كازاخستان، خاصة من خلال مشروع "العالم التركي" وأدوات القوة الناعمة والاقتصادية.
٣. دراسة استراتيجيات روسيا للحفاظ على نفوذها التقليدي في كازاخستان ضمن أطرها الإقليمية مثل الاتحاد الاقتصادي الأوراسي ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي.
٤. بيان أبعاد التفاعل بين تركيا وروسيا في كازاخستان بين التنافس والتعاون، ومدى تأثير ذلك على استقرار المنطقة.
٥. استشراف انعكاسات مكانة كازاخستان على مستقبل التوازنات الإقليمية في آسيا الوسطى ودورها في إعادة صياغة السياسات الإقليمية والدولية.

منهجية البحث : يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي – التحليلي لفهم طبيعة المكانة الاستراتيجية لكازاخستان في العلاقات التركية – الروسية، من خلال وصف موقعها الجغرافي، ومواردها الاقتصادية، وأبعاد قوتها الإقليمية. كما يوظف البحث

منهج دراسة الحالة لتحليل دور كازاخستان كنموذج واقعي يعكس التفاعل بين القوتين الإقليميتين تركيا وروسيا. بالإضافة إلى ذلك، يستخدم البحث المنهج المقارن لتسليط الضوء على أوجه التباين والتقاطع في السياسات التركية والروسية تجاه كازاخستان.

هيكلية البحث : يقسم البحث الى مقدمة وخاتمة وعدة محاور :

المحور الاول : الاهمية الجيوستراتيجية لكازاخستان

المحور الثاني : كازاخستان في الفكر الاستراتيجي التركي والروسي .

المحور الثالث :التنافس الروسي التركي في كازاخستان

المحور الاول

الاهمية الجيوستراتيجية لكازاخستان

تُعد كازاخستان من الدول المحورية في آسيا الوسطى، نظراً لموقعها الجغرافي الذي يجعلها حلقة وصل بين الشرق والغرب، ولتمتعها بموارد طبيعية هائلة تشمل النفط والغاز والمعادن النادرة. هذه الخصائص جعلت منها نقطة جذب للقوى الإقليمية والدولية، خاصة تركيا وروسيا، اللتين ترى كل منهما في كازاخستان امتداداً لمصالحها الاستراتيجية. فبالنسبة لتركيا، تمثل كازاخستان جسراً لتعزيز حضورها الثقافي والاقتصادي ضمن إطار مشروع "العالم التركي"، فيما تعتبرها روسيا جزءاً من مجال نفوذها التقليدي الذي تسعى إلى الحفاظ عليه لضمان أمنها القومي واستقرار المنطقة. ومن هنا، فإن دراسة الأهمية الجيوستراتيجية لكازاخستان تساعد على فهم طبيعة التوازنات الإقليمية والتفاعلات السياسية والاقتصادية بين القوى الكبرى في آسيا الوسطى، وتوضح الدور المحوري الذي تلعبه كازاخستان في إعادة تشكيل السياسات الإقليمية وعليه وقسم المطلب الى :

اولا: الاهمية الجيوبولتيكية .

تبلغ مساحة جمهورية كازاخستان نحو ٢,٧١٧,٣٠٠ كيلومتر مربع، أي ما يعادل حوالي ١٢% من إجمالي مساحة ما كان يُعرف بالاتحاد السوفيتي، لتكون بذلك ثاني أكبر جمهورياته من حيث المساحة بعد روسيا بين ١٥ جمهورية تأسيسية. عاصمة كازاخستان هي أستانا (Astana). تحدّها من الغرب بحر قزوين، ومن الجنوب تركمنستان وأوزبكستان وقرغيزستان، وتمتد حدودها الجنوبية الشرقية جزئيًا مع الصين. كما تُعد كازاخستان موطنًا للبدو من قبائل الترك الذين غزوا منغوليا في القرن الثالث عشر الميلادي ، اذ يبلغ عدد سكان جمهورية كازاخستان نحو ١٨,٤ مليون نسمة وفقًا لإحصاءات عام ٢٠١٦، منهم حوالي ٣٣% من الكازاخ الذين يعتنقون الإسلام ويتحدثون اللغة التركية، وكانوا في الأصل يعيشون حياة البدو الرعاة، لكنهم بدأوا تدريجيًا بالتحول نحو الحياة الحضرية وتشكل الجالية الروسية حوالي ٤٢% من السكان، في حين يشكل الأوكرانيون نحو ٧% يعمل الروس غالبًا في مجالات التعدين، والصناعات المعدنية، واستصلاح الأراضي. يعيش نحو ٥٢% من السكان في المدن، وأكبرها أستانا العاصمة التي يبلغ عدد سكانها نحو ١,٥ مليون نسمة، وتقع عند السفوح الجنوبية بالقرب من الحدود مع الصين وتجدر الإشارة إلى أن أستانا كانت مدينة روسية بالكامل منذ منتصف القرن التاسع عشر، وتعد اليوم مركزًا للصناعات الهندسية والمنسوجات (حسين، ٢٠٢٠ :٦٦) ولموقع كازاخستان مزايا وسلبيات بالنسبة لتركيا وروسيا :

١- مميزات وسلبيات موقع كازاخستان بالنسية لتركيا : فمن مميزات موقع كازاخستان (M. Cutler ، ٢٠٢٥ , web

- السكان الكازاخ يتحدثون التركية وينتمون إلى الشعوب التركية، ما يسهل العلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية مع تركيا.

– الموقع الاستراتيجي في آسيا الوسطى يسمح لكازاخستان بأن تكون بوابة تركية لدخول أسواق آسيا الوسطى الكبرى.

– وجود النفط والغاز والمعادن يجعلها نقطة جذب للاستثمارات التركية في القطاعات الاقتصادية والصناعية.

– التعاون في النقل واللوجستيات يمكن استغلال موقعها لتعزيز شبكة النقل البري والسكك الحديدية بين تركيا وآسيا الوسطى.

اما سلبيات موقع كازاخستان بالنسبة لتركيا هي: (Samyar ٢٠٢٥ ,web Rostami,)

– رغم الروابط الثقافية، المسافة الكبيرة تزيد من تكاليف النقل وتقيد بعض جوانب التعاون المباشر

– سيطرة روسيا والصين على السياسات الإقليمية تحد من حرية تركيا في التأثير المباشر على كازاخستان.

– اعتماد كازاخستان الاقتصادي والسياسي على روسيا يحد من قدرة تركيا على التوسع الكامل في المجالات الاستراتيجية.

٢– مميزات وسلبيات موقع كازاخستان بالنسبة لروسيا فمن مميزات موقع كازاخستان هي:

(Kate Mallinson, ،٢٠٢٥ ,web)

– تجعل كازاخستان منطقة حيوية للأمن القومي الروسي والمصالح الاقتصادية، بما في ذلك الطاقة والنقل.

– يتيح موقعها لروسيا تعزيز نفوذها في جمهوريات آسيا الوسطى الأخرى.

– تمكن روسيا من التعاون في مجالات التعدين والصناعات الثقيلة والطاقة.

اما سلبيات موقعها فهي : (Pauline Jones,٢٠٢٣: 23)

– يخلق ضغطًا جيوسياسيًا محتملًا على روسيا بسبب توسع النفوذ الصيني في آسيا الوسطى.

– وجود الأقليات غير الروسية قد يؤدي أحيانًا إلى توترات داخلية قد تؤثر على الاستقرار الإقليمي.

– كازاخستان تسعى أحيانًا لتقليل التبعية لروسيا، مما قد يحد من نفوذها التقليدي في بعض القطاعات.

ثانيا: الاهمية الاقتصادية .

كازاخستان هي أكبر اقتصاد في آسيا الوسطى، حيث مثّلت أكثر من نصف إجمالي الناتج المحلي في عام ٢٠٢١ (بأسعار الدولار الأمريكي وفقًا لمعادل القوة الشرائية). كما أنها الدولة صاحبة أعلى نصيب للفرد من الناتج المحلي الإجمالي في المنطقة، حيث يتجاوز ضعفالمتوسطالإقليمي غير المرجح. وقد تأثر الأداء الاقتصادي على مدى العقد الماضي سلبًا بصدمات خارجية مختلفة، لكن الناتج انتعش بقوة بعد ذلك. ونتيجة لذلك، ارتفع الناتج المحلي الإجمالي بمعدل نمو سنوي مركب يزيد قليلاً عن ٣% خلال العقد الماضي. ومع ذلك، يشير انخفاض الإنتاجية في النصف الثاني من العقد إلى الحاجة إلى إيجاد محركات نمو جديدة على الرغم من أن البلاد قد أحرزت بعض التقدم في التنويع الاقتصادي، إلا أن الهيدروكربونات والسلع الأخرى لا تزال المؤثر الرئيسي في الديناميكيات الاقتصادية وانتقال الصدمات. ويشكل الامتداد الجغرافي الكبير والتنوع الإقليمي الكبير تحديات تنموية خاصة ، و باعتبارها دولة غير ساحلية تُعاني كازاخستان من ضعف في اندماجها في الاقتصاد العالمي. وقد أدت الحرب في أوكرانيا إلى مزيد من التعقيدات في مجال لوجستيات التجارة. ورغم أن كازاخستان تتفوق على غيرها من دول آسيا الوسطى من حيث جودة البنية التحتية للنقل والتجارة، إلا أن هناك الكثير مما يتعين تحقيقه من جهود تسهيل التجارة وتحسين ربط وسائل النقل، بما في ذلك استخدام الحلول الرقمية التي

تُقلل التكاليف وتُوسّع الخيارات. ويشير انخفاض مستوى الانفتاح التجاري نسبيًا إلى وجود مجال لمزيد من التحسين (KAZAKHSTAN Country Brief ,2024 ,web Economic overview) تُعدّ صعوبة تنويع اقتصاد كازاخستان تحديًا مألوفًا لدى كبار مُصدّري المعادن الآخرين. فمجموعة القدرات المتاحة في هذه الاقتصادات غالبًا ما تكون أبعد من المعرفة الفنية اللازمة لتحفيز صناعات جديدة، مما يعني أن مزيدًا من التنسيق غالبًا ما يكون مطلوبًا لتحقيق القدرة التنافسية في القطاعات الأخرى. وعند وصف عملية التنويع والتعقيد الاقتصادي، يُمكن تفسير ذلك بعدم امتلاك الدولة لقدرات حالية كافية – أو عدم قدرتها على تنسيقها – للتوسع خارج سلة إنتاجها الحالية إلى أنشطة جديدة لا تكمن مشكلة كازاخستان في عدم قدرتها على إدخال منتجات جديدة إلى سلة صادراتها، بل في قلة الفرص المتاحة لها في المناطق المجاورة والتي لها قيمة استراتيجية في تطوير محركات نمو تكميلية على الرغم من إضافة منتجات وأنشطة جديدة إلى سلة صادراتها في العقد الماضي، إلا أن هذه المنتجات والأنشطة كانت منخفضة التعقيد، يُمثل هذا تحديًا واسع النطاق في البلدان التي تُركز على الصناعات الاستخراجية. وينعكس هذا التحدي في مقاييس التعقيد في البلدان التي تعتمد بشكل كبير على النفط والغاز. وعند ضبط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، نلاحظ أن العديد من مقاييس التعقيد الاقتصادي ترتبط ارتباطًا سلبيًا بحصة الناتج المحلي الإجمالي للبلد في عائدات النفط والغاز حول العالم، بما في ذلك مؤشر التعقيد الاقتصادي (ECI)، ومؤشر توقعات التعقيد (COI)، وتنوع الصادرات لذلك، فإن تحديات كازاخستان في التنويع ليست فريدة من نوعها؛ بل تُفسر جزئيًا بالاتجاهات الملحوظة بشكل منهجي في البلدان كثيفة الموارد حول العالم (Ricardo Hausmann, 2023:23)

المحور الثاني

كازاخستان في الفكر الاستراتيجي التركي والروسي .

اولا: كازاخستان بالنسبة لتركيا .

في عام ١٩٩١، مع انهيار الاتحاد السوفيتي، ازداد اهتمام تركيا بجمهوريات آسيا الوسطى بشكل كبير. وخلال هذه الفترة الحديثة نسبيًا، بدأت الدبلوماسية التركية تجاه كازاخستان تتبلور. كانت الدولتان تشتركان في العديد من نقاط القرابة، لكنهما كانتا تجهلان بعضهما البعض إلى حد كبير، إذ حال الستار الحديدي المغلق دون أي اتصال حتى ذلك الحين ولم تُنشأ روابط رسمية بين تركيا والدول الناطقة بالتركية في آسيا الوسطى إلا مع انهيار الاتحاد السوفيتي حتى قبل الحقبة السوفيتية، في عهد الإمبراطورية العثمانية، كانت الروابط السياسية بين الأناضول وتركستان الروسية محدودة. ولم يحاول السلاطين، ولا سيما عبد الحميد، توثيق علاقاتهم مع مسلمي الإمبراطوريتين الروسية والصينية إلا مع اقتراب نهاية الإمبراطورية، ولكن دون أي نجاح يُذكر. كانت محاولات حركة الشباب الأتراك لتوحيد أتراك تركيا وأتراك آسيا الوسطى أقل جدوى، على الرغم من أن أحد أبرزهم، أنور باشا، قد ضحى بحياته من أجل هذا المثل أثناء قتاله البلاشفة في جبال ما يُعرف الآن بطاجيكستان ومن السمات المهمة: العلاقات الثنائية بين تركيا وكازاخستان ديناميكية في جميع المجالات تقريبًا: السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية وتستند هذه العلاقات إلى حد كبير على الالتزام الشخصي والتفاهم بين قادة البلدين، وتعزيز الروابط المؤسسية. ونتيجة لذلك، أصبحت السياسة الخارجية التركية تجاه العالم التركي ركيزة أساسية(Bayram Balcı , 2024:1)

تركيا من أكبر خمسة شركاء تجاريين لكازاخستان، ومن أكبر مستثمريها الأجانب. ويهدف البلدان إلى رفع حجم التبادل التجاري بينهما إلى ١٠ مليارات دولار. ورغم التحديات الإقليمية والعالمية، وصل حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى ما يقارب

٥ مليارات دولار في عام ٢٠٢٤ ووفقًا لوزارة التجارة والتكامل الكازاخستانية، بلغ إجمالي حجم التبادل التجاري بين كازاخستان وتركيا ١,٩ مليار دولار في الفترة من يناير إلى مايو ٢٠٢٥ وشملت الصادرات الرئيسية لكازاخستان إلى تركيا النحاس والكاثودات بقيمة ٦٢٢,٥ مليون دولار، يليه النفط الخام بقيمة ٤٦٩,٣ مليون دولار. وشملت الصادرات الرئيسية الأخرى منتجات بترولية مكررة بقيمة ٧٨,٤ مليون دولار، وبوليمرات البولي بروبيلين بقيمة ٣٤,٥ مليون دولار، والخضروات المجففة بقيمة ٢١,٢ مليون دولار، والفحم بقيمة ١٩,٧ مليون دولار، والألمنيوم غير المعالج بقيمة ٩,٩ مليون دولار وتشمل الواردات من تركيا الأدوية، والمنسوجات، والسجاد، ومواد البناء، والسلع المنزلية لدعم التجارة المتنامية، يستكشف الجانبان طرقًا لوجستية بديلة. وقد خصصت تركيا ١٠٠ مليون دولار أمريكي لبناء محطات لوجستية في كازاخستان. وفي حال حدوث اضطرابات في مضيق هرمز، تخطط الدولتان لتفعيل طريق النقل الدولي عبر بحر قزوين بشكل كامل
(AIMAN NAKISPEKOVA,2025,web) تتمتع تركيا وكازاخستان بعلاقات وثيقة منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بينهما عام ١٩٩٢، إذ كانت أنقرة من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال كازاخستان عقب انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، الأمر الذي منح هذه الدولة مكانة خاصة في السياسة التركية. وقد برزت تباينات في الموقف التركي إزاء الأزمة الأخيرة التي شهدتها كازاخستان، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي (بلا ،٢٠٢٢: ٤-٥)

١- تباين الموقف التركي:في بداية الاحتجاجات التزمت أنقرة الصمت ولم يُدلِ الرئيس رجب طيب أردوغان بأي تصريح رسمي خلال اليومين الأولين. في المقابل، وصفت بعض وسائل الإعلام المحسوبة على حزب العدالة والتنمية الأحداث بأنها بمثابة "ربيع تركي"، في إشارة إلى دعمها الضمني للمتظاهرين وإمكانية إطاحتهم بالحكومة. ويُعزى ذلك جزئياً إلى استياء أنقرة من توجهات الرئيس الكازاخي الحالي،

الذي يركز على تعزيز شراكته مع موسكو، وهو ما تعتبره تركيا تقييداً لنفوذها في آسيا الوسطى وقد زادت الشكوك حول وجود دور تركي في تلك الاضطرابات بعد تداول تقارير إعلامية عن زيارة ديمتري ديكي، أحد أبرز زعماء المافيا في كازاخستان والمتهم بالتحريض على التظاهرات، إلى أنقرة قبيل اندلاع الأحداث ولقائه وزير الخارجية مولود تشاووش أوغلو. وأعلن الرئيس الكازاخي توكاييف لاحقاً عن تورط "أطراف أجنبية وجماعات إرهابية" في الهجمات التي استهدفت مؤسسات الدولة، فيما ألقت السلطات الكازاخية القبض على ديكي في ٧ يناير عقب عودته من تركيا ، كما أشار مسؤولون كازاخ إلى أن بعض مثيري الشغب لديهم خبرة قتالية اكتسبوها من مناطق نزاع تشهد نشاط جماعات إسلامية متطرفة، الأمر الذي وجه أصابع الاتهام إما نحو تركيا، التي ارتبطت بعلاقات مع جماعات مسلحة في سوريا، أو نحو أفغانستان. ومع تدخل روسيا عسكرياً في كازاخستان، تراجعت وسائل الإعلام التركية عن وصف الاحتجاجات بـ"الربيع التركي"، في دلالة على تبدل الموقف الإعلامي الرسمي. وقد انعكس هذا التحول أيضاً في الخطاب السياسي، حيث أعلن المتحدث باسم الرئاسة التركية في ٧ يناير أن أنقرة تعطي الأولوية لسلام واستقرار كازاخستان، وهو الموقف الذي كرره وزير الخارجية في ٩ يناير.

٢- الاستعداد للتدخل العسكري: أبدت أنقرة استعدادها لتقديم دعم عسكري مباشر إذا اقتضى الأمر. فقد صرح وزير الدفاع التركي خلوصي أكار بأن كازاخستان تعد "حليفاً مهماً لتركيا"، مؤكداً رغبة بلاده في استقرار الأوضاع بأسرع وقت ممكن، وأضاف: "إذا تقدمت كازاخستان بطلب رسمي إلى أنقرة، فإننا مستعدون لتلبيته بشكل كامل".

ثانيا : كازاخستان بالنسبة لروسيا .

تسعى روسيا إلى الحفاظ على نفوذها في آسيا الوسطى باعتباره جزءًا مهمًا من استراتيجيتها التقليدية، وذلك من خلال تعزيز حضورها السياسي والاقتصادي لضمان استمرار وجودها في المنطقة. كما تعمل على تطوير علاقاتها الاقتصادية عبر توسيع مجالات التعاون التجاري والاستثماري، ودعم مشاريع البنية التحتية. وإلى جانب ذلك، تولي موسكو اهتمامًا كبيرًا بتعزيز الأمن ومكافحة التهديدات المشتركة، بما في ذلك الإرهاب والتطرف. كذلك تسعى إلى تكريس دورها الإقليمي عبر التعاون مع المنظمات الإقليمية والدولية الفاعلة في آسيا الوسطى. ومن ثم يمكن القول إن السياسة الروسية في هذه المنطقة ترتكز على هدفين أساسيين: تعزيز النفوذ وضمان الاستقرار الاستراتيجي(محمد ، ٢٠٢٤: ٦٤٤) ففي كازاخستان، تتواجد مشاريع مشتركة مع روسيا تشمل تصنيع الشاحنات، وإنشاء مجمع كيميائي مخصص لإنتاج الأسمدة المعدنية، إضافةً إلى الاستثمار في أنشطة التعدين ومحطات المعالجة. ويُعد استخراج اليورانيوم من أبرز الأصول الروسية هناك، فضلًا عن دور روسيا في نقل النفط الكازاخستاني إلى الأسواق الأوروبية(سافين ، ٢٠٢٤ : ٤)

فقد تم التعاون العسكري بين كازاخستان وروسيا على جبهتين، وغالبًا ما يتداخل في بعض المجالات: فهما يعملان معًا في إطار منظمة معاهدة الأمن الجماعي (CSTO)، ومن خلال أكثر من ٦٠ اتفاقية ثنائية تنظم التعاون الدفاعي والعسكري التقني. وتُجدد الاتفاقيات والمعاهدات دوريًا، أو تُضاف إليها وثائق وملحقات جديدة، تُحدد الإطار العام وجوانب مختلفة أخرى من تعاونهما الوثيق. على سبيل المثال، في ٨ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٠، في موسكو، وقّع وزيرا الدفاع الروسي والكازاخستاني، أناتولي سيرديوكوف، وعادل بك دجاكسيبيكوف، خطة التعاون للفترة ٢٠٠٨–٢٠١٢ ، يشمل التعاون العسكري المشترك جميع جوانب سياستهما الأمنية

تقريبًا، بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى ذات الصلة، بدءًا من إجراء التدريبات العسكرية المشتركة، لا سيما في إطار منظمة معاهدة الأمن الجماعي (أُجريت ثلاث منها عام ٢٠١٠، ومن المقرر إجراء المزيد منها عام ٢٠١١)، وإنتاج الأسلحة والتكنولوجيا العسكرية، وتدريب العسكريين (حيث تدرب أكثر من ١٥ ألف جندي كازاخستاني في منشآت عسكرية روسية بين عامي ١٩٩٢ و٢٠٠٥)، وصولًا إلى مشاركة المنشآت والمنشآت العسكرية. علاوة على ذلك، وبصفتها عضوًا في منظمة معاهدة الأمن الجماعي، تستفيد كازاخستان من شروط تفضيلية لشراء الأسلحة والأنظمة المصنعة في روسيا، التي تُعدّ بلا منازع أكبر مورد للمعدات العسكرية لها في آسيا الوسطى (YRICHARD ROUSSEAU, ٢٠١١ ،web)

المحور الثالث

التنافس الروسي التركي في كازاخستان

تظل روسيا الاتحادية العامل الأهم في الحد من توسع النفوذ التركي داخل جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، وذلك لما تمتلكه موسكو من مقومات قوة وهيمنة راسخة في تلك المنطقة، مما يمنحها اليد العليا في التأثير على مساراتها السياسية والاقتصادية. ويضاف إلى ذلك ما يثير قلق أنقرة من مستوى التنسيق العالي بين موسكو وطهران في معالجة معظم قضايا آسيا الوسطى. ورغم اختلاف الأجندات السياسية لكل من روسيا وتركيا في سياستهما الخارجية، فإن العلاقات الاقتصادية بينهما شهدت نمواً ملحوظاً مدفوعاً بالمصالح المشتركة، حيث توسعت مجالات التعاون لتشمل التجارة والسياحة والاستثمارات، اذ شهدت العلاقات الاقتصادية بين تركيا وروسيا نمواً متسارعاً على مر السنين، خاصة في ظل التطور الذي عرفه الاقتصاد التركي وازدياد عدد سكانه، وما نتج عنه من ارتفاع متواصل في احتياجاته من الطاقة. كما تسعى كازاخستان إلى زيادة صادراتها النفطية عبر خط أنابيب (باكو–تبليسي–جيهان) إلى ٢٠ مليون طن سنويًا، والذي سيتيح لتركيا

تعزيز نقل الطاقة وتقليل اعتمادها على مصادر الطاقة الأخرى، كذلك تتطلع تركيا أيضًا إلى استغلال موقع كازاخستان لتعزيز طرق التجارة. كما يحرص البلدان على تطوير ممر النقل الدولي عبر بحر قزوين، أو ما يُعرف بالممر الأوسط، لتعزيز دورهما كمركزين رئيسيين للعبور، وحلقتين وصل أساسيتين على طريق الشرق والغرب، فضلًا عن أهميتهما الجيوسياسية، فضلا عن هذا الممر سيربط الصين بأوروبا عبر كازاخستان وبحر قزوين وأذربيجان وجورجيا وتركيا، مما يقلل من وقت نقل البضائع. وتُعد تركيا، التي تضم نحو ٥٠٠٠ شركة في كازاخستان، واحدة من أكبر خمسة شركاء تجاريين لكازاخستان، ومن بين أكبر ٢٠ دولة مستثمرة فيها. ويعكس العمل على نحو ١٠٠ مشروع استثماري مشترك بين كازاخستان وتركيا، بقيمة ٣,٨ مليار دولار أمريكي بحلول عام ٢٠٢٤، الأبعاد المهمة للعلاقات الاقتصادية بينهما(Samyar Rostami, ٢٠٢٥،web)

وتُعد المصالح الاقتصادية أحد أبرز ركائز العلاقات بين الطرفين، حيث تنظر موسكو إلى أنقرة باعتبارها بوابتها البحرية من البحر الأسود إلى البحر المتوسط، وهو ما يشكل شريان حياة لروسيا وطوق نجاة استراتيجياً. كما ترى روسيا في تركيا منفذاً اقتصادياً يساعدها على مواجهة تداعيات العقوبات الغربية المفروضة عليها منذ عام ٢٠١٤ على خلفية الأزمة الأوكرانية، خصوصاً مع رفض أنقرة الانضمام إلى تلك العقوبات، الأمر الذي عزز مكانتها بوصفها شريكاً وسيطاً في نقل الغاز الطبيعي الروسي إلى أوروبا، لا سيما بعد تعثر مشروعات الطاقة الأوروبية المشتركة مثل مشروع "دفق الجنوب(لؤي ، ٢٠٢٠ : ٣٥١)

وفي نفس الوقت تتبنى السياسة الخارجية لكازاخستان في تفاعلاتها مع دول الشرق الأوسط، نهجًا براغماتيًا متعدد الأوجه. إذ ان سياسة كازاخستان الخارجية متعددة الأطراف، التي توازن علاقاتها مع روسيا والصين والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، تحدّ من هامش المناورة المتاح لتركيا، إضافةً إلى ذلك، تشترك كازاخستان،

ذات الأغلبية الروسية، في أطول حدود برية (٧٦٤٤ كم) مع روسيا، وهي عضو في الاتحاد الاقتصادي الأوراسي ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي، ولا شك أن انضمام كازاخستان إلى منظمة معاهدة الأمن الجماعي وانضمام تركيا إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو) يشكلان عائقين رئيسيين أمام تعزيز الأمن والتعاون الاستراتيجي، بل وقد يعيقان الوجود العسكري التركي في كازاخستان، كما توجد أيضًا اختلافات في توجهات السياسة الخارجية، على سبيل المثال فيما يتعلق بـ"قبرص" وقرار (أستانا) الأخير بافتتاح سفارة في نيقوسيا، والذي وصفته وسائل الإعلام التركية بأنه "خيانة"، كما انه من الواضح أن القيود السياسية والاقتصادية الداخلية لتركيا تحدّ من قدرتها على الحفاظ على دورها في كازاخستان وتوسيعه بشكل مفرط. مع ذلك، فإن نهج تركيا تجاه كازاخستان سيكون مزيجًا من الدبلوماسية الثقافية، والبراغماتية الاقتصادية والجيوسياسية، واحتياجات الطاقة، والتنافسات الإقليمية، وتوسيع نفوذها (Turkish business pioneers, 2025,web) كما بدا بأن نفوذ روسيا في كازاخستان راسخًا. فبعد احتجاجات عنيفة جماهيرية شلّت كازاخستان في أوائل سنة ٢٠٢٢، نشرت روسيا ودول أخرى من منظمة معاهدة الأمن الجماعي نحو ألفي جندي في الجمهورية السوفيتية السابقة، بزعم تحقيق الاستقرار في الدولة الغنية بالطاقة. ونتيجة لذلك، عزز الرئيس الكازاخستاني (توكاييف) سلطته، بينما لعبت روسيا دور المنقذ، لكن مكاسب روسيا كانت مؤقتة، وقد أدى غزو أوكرانيا إلى توتر العلاقات بين قادة موسكو ونور سلطان. ولم تؤيد كازاخستان العمليات العسكرية للكرملين، بل بدأت بإرسال مساعدات إنسانية إلى أوكرانيا، كما قرر الرئيس (توكاييف) عدم إقامة العرض العسكري التقليدي بمناسبة يوم النصر في العاصمة في التاسع من مايو، موجهًا رسالة رمزية إلى الكرملين مفادها أن كازاخستان تسعى للخروج من دائرة النفوذ الروسي (2022,web, NIKOLA MIKOVIC) لذا فقد شهدت الهوية الدبلوماسية لكازاخستان تحولاً هادئاً

لكنه حاسم، فبعد أن كانت يُنظر إليها في المقام الأول كمنطقة عازلة أو عامل استقرار في حقبة ما بعد الاتحاد السوفيتي، رسّخت مكانتها الآن كجهة مؤثرة تُشكّل الأطر التي تُوجّه التفاعلات الإقليمية. ويتجلى هذا التحول ليس فقط في الخطاب السياسي، بل أيضاً في الأدوار التي اختارتها كازاخستان كجهة راعية للحوارات الإقليمية ومضيفة للمفاوضات المتعددة الأطراف الحساسة، إذ بات الخطاب السياسي يركز على المشاركة البنّاءة والسيادة الراسخة. اذ لا تسعى كازاخستان إلى التساوي في المسافة بين القوى، بل إلى الاندماج الفعال في شبكات متباينة: أنظمة أمنية بقيادة روسيا، وتدفقات تجارية بقيادة الصين، ومناطق تنظيمية أوروبية، وبنى تحتية ثقافية تركية، ويُعرّف اندماج كازاخستان المتباين في شبكات متعددة دورها كفاعل يُنظّم مشاركاتها الخارجية بشكل معياري، من خلال أولويات داخلية مصممة لتنظيم الضغوط الخارجية، ولم تعد كازاخستان تتبع النصوص المكتوبة في الخارج، بل تشارك في كتابة رواياتها الخاصة، باستخدام قواعد نحوية قامت بتشكيلها بشكل متزايد بالتنسيق مع شركائها ونظرائها الإقليميين.(Robert M. Cutler ، ٢٠٢٥،web)

الخاتمة

تمثل كازاخستان محوراً استراتيجياً في التوازنات الإقليمية بين تركيا وروسيا، فهي دولة غنية بالموارد الطبيعية، وذات موقع جغرافي يجعلها جسراً بين آسيا وأوروبا، وبين العالم التركي والمجال الروسي. لقد أثبتت التجربة أنّ موسكو تنظر إليها كجزء من مجالها الحيوي وضمانة لأمنها وحدودها الجنوبية، في حين ترى أنقرة فيها امتداداً ثقافياً وحضارياً وبوابة لتعزيز حضورها الاقتصادي في آسيا الوسطى. وقد مكّن هذا الوضع كازاخستان من اتباع سياسة توازن متعددة الاتجاهات، تقوم على التعاون مع الطرفين دون الانحياز الكامل لأي منهما، بما يحفظ مصالحها ويعزز مكانتها. وعليه، فإن كازاخستان لا تُعد مجرد ساحة للتنافس التركي – الروسي، بل

فاعلاً استراتيجياً يسهم في صياغة معادلة الاستقرار الإقليمي وتحديد مسارات العلاقات بين أنقرة وموسكو في أوراسيا، ومن خلال مماتقدم نستنتج مما يلي :

١.موقع كازاخستان في قلب آسيا الوسطى جعلها حلقة وصل محورية بين روسيا وتركيا، وممراً استراتيجياً للطاقة والتجارة يربط أوروبا بالصين عبر مبادرة الحزام والطريق.

٢. تمتلك كازاخستان احتياطيات ضخمة من النفط والغاز واليورانيوم، ما جعلها عنصراً أساسياً في معادلة الطاقة لكل من روسيا وتركيا، ومصدراً للتنافس والتعاون في الوقت ذاته.

٣. تنظر روسيا إلى كازاخستان كخط دفاع متقدم وحديقة خلفية لأمنها القومي، بينما تسعى تركيا إلى تعزيز التعاون الأمني معها ضمن أطر إقليمية ودبلوماسية حذرة تراعي توازن القوى.

٤. تمتلك تركيا ميزة "القوة الناعمة" عبر الروابط اللغوية والتاريخية والدينية مع كازاخستان، وهو ما لا يتوافر بنفس القدر في العلاقة الكازاخية – الروسية، مما يمنح أنقرة هامش تأثير إضافياً.

٥. انتهجت كازاخستان دبلوماسية متعددة الاتجاهات، سمحت لها بالاستفادة من الشراكات مع روسيا وتركيا معاً، وتفادي الوقوع في دائرة النفوذ الأحادي لأي طرف.

٦. العلاقات التركية – الروسية في كازاخستان ليست صفرية، فهي تقوم على مزيج من التنافس (في مجالات الطاقة والنفوذ الثقافي) والتعاون (في الاقتصاد والاستقرار الإقليمي).

٧.مكانة كازاخستان الاستراتيجية تجعلها عاملاً مؤثراً في استقرار أوراسيا، وفي صياغة ملامح التوازنات بين أنقرة وموسكو، خاصة في ظل التغيرات الدولية بعد الأزمة الأوكرانية.

ويوصي الباحث مجموعة من التوصيات هي :

١. بالنسبة لكازاخستان: الاستمرار في اتباع سياسة التوازن المتعدد مع القوى الكبرى (روسيا، تركيا، الصين، الغرب) لتجنب الارتهان لأي طرف، وتعزيز الاستثمارات في البنية التحتية وطرق النقل العابرة للحدود لتكريس دورها كجسر اقتصادي بين الشرق والغرب، و تنويع مصادر الأمن والطاقة عبر الانفتاح على شركاء جدد لتقليل الاعتماد المفرط على روسيا.

٢. بالنسبة لتركيا: تكثيف الاستثمارات في مجالات الطاقة والإنشاءات والتعليم لتعزيز الحضور الاقتصادي في كازاخستان، و توظيف الروابط التاريخية واللغوية ضمن إطار القوة الناعمة لتعميق العلاقات الثقافية والشعبية، بالاضافة الى التنسيق الدبلوماسي مع موسكو لتجنب أي صدام مباشر في آسيا الوسطى، وتحويل التنافس إلى فرص تعاون مشترك.

٣. بالنسبة لروسيا: احترام سيادة كازاخستان وتجنب السياسات التي قد تُشعرها بتهديد نفوذها أو استقلال قرارها السياسي ، و توسيع مجالات التعاون الاقتصادي لتشمل التكنولوجيا الحديثة والصناعة، بدلاً من التركيز الحصري على قطاع الطاقة، و تقبل دور تركيا المتنامي في آسيا الوسطى كعامل موازن يحد من النفوذ الغربي المباشر في المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع

١. حسين ،هادي محمد(٢٠١٧) ، ***التنافس الامريكي -الروسي -الصيني في اسيا الوسطى*** ، اطروحة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا ،جامعة مؤته ،الأردن.
٢. بلا،(٢٠٢٢) ***تورط محتمل: هل لعبت تركيا دوراً في إثارة الاحتجاجات في كازاخستان؟***، المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة ، ١٣ يناير.
٣. محمد ،انصاف طالب(٢٠٢٤) ، ***التحديات الامنية في اسيا الوسطى وتأثيرها على السياسة الروسية في المنطقة*** ، مجلة دراسات دولية العدد٩٩، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، جامعة بغداد .
٤. سافين، ليونيد(٢٠٢٤)، ***روسيا وآسيا الوسطى.. المصالح والتعاون*** ، مركز الدراسات العربية والاوراسية .

٥. إبراهيم ، لؤي (٢٠٢٠)، ***التنافس الروسي التركي في اسيا الوسطى بعد انتهاء الحرب الباردة*** ، مجلة جامعة دمشق ، العدد٢ ،المجلد ٣٦، جامعة دمشق ، سوريا .

1. YRICHARD ROUSSEAU, KAZAKHSTAN'S STRATEGIC AND MILITARY RELATIONS WITH RUSSIA, diplomaticourier, JULY 20, 2011, web; https://www.diplomaticourier.com
2. Robert M. Cutler(٢٠٢٥) , Kazakhstan and Turkey Reshape Their Eurasian Partnership, The Times of Central Asia, 31 July,web; https://timesca.com
3. Pauline Jones(٢٠٢٣), Russia's War Against Ukraine and the Future of Kazakhstan's Foreign Policy, Journal of International Affairs, This Argument appears in Vol. 75, No. 2, "War in Ukraine: The World Responds"
4. KAZAKHSTAN Country Brief Economic overview (٢٠٢٤), https://unece.org/sites/default/files/202408/Kazakhstan%20economic%20review.pdf ,
5. Ricardo Hausmann(٢٠٢٣), Douglas Barrios, The Economic Complexity of Kazakhstan: A Roadmap for Sustainable and Inclusive Growth, CID Faculty Working Paper No. 4.
6. Bayram Balcı(٢٠٢٤) , Turkey-Kazakhstan Relations: A Strong Partnership in the Turkic World, the Central Asia-Caucasus Institute & Silk Road Studies Program, February 20
7. AIMAN NAKISPEKOVA, Kazakhstan(٢٠٢٥), Türkiye to Deepen Strategic Ties at High-Level Council Meeting in Ankara, the astanatimes, web; https://astanatimes.com